

محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١



هو الشاعر البدوي البليغ، والمجاهد الوطني الصميم، محمد عبد المطلب، ولد سنة ١٨٧٠ ببلدة (باصونه) من قرية مديرية جرجا لأبوين عربيين مصريين من سلالة قبيلة جهينة إحدى قبائل جزيرة العرب، وكان والده رجلاً صالحاً متفقهاً، فأرسل ابنه إلى الأزهر وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين، ثم انتقل إلى (دار العلوم) ومكث بها أربع سنوات، وتخرج منها عالماً أديباً، وتولى التدريس في مدارس الحكومة، واختير مدرساً بمدرسة (القضاء الشرعي)، ثم مدرساً في (دار العلوم)، ونضج علمه،

واكتمل شعره وأدبه، فصار من فطاحل الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان، ولما شبت ثورة سنة ١٩١٩ ساهم فيها بشعره وأدبه وجهاده، وخلد حوادثها بقصائده الغر، وكان حجة في الأدب واللغة، وشعره يجمع بين البلاغة والجزالة وروعة الأسلوب، وبلغ في مكانته الشعرية منزلة فطاحل الشعراء المتقدمين، وكان الروح الوطنية الدفاعة تتجلى في معظم أشعاره وقصائده؛ وله في هذه الناحية إنتاج ضخم يصلح في ذاته أن يكون ديواناً مجتمعاً من الشعر الوطني؛ وقد ظل على إنتاجه الشعري إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٣١.

روحه الوطنية

إن أحسنت وصف لروحه الوطنية ومساهمته في الجهاد وخاصة في ثورة سنة ١٩١٩ ما قاله في رثائه صديقه وزميله الشاعر محمد الهراوي إذ يقول عن (جهاده الوطني):

فإنك للجلى واللاحادث الجد فذاك وإن جدت خطوب وأجابت

وتمضي وصوت (الموزريات) كالرعد
وتعدو على العادي عليه وتستعدي
وقد حميت أناف قومك من وقد
ونفسك من فرط الحمية في جند
إلى الوطن العاني، كذلك من يفدي

تخاطر والجند المدجج محقق
فتبكي وتستبكي العيون على الحمى
وتخطب حتى تستثير وتنتهي
وما هالك الجندي الذي كان محققا
نزلت عن النفس الكريمة فدية

مصر أثناء الحرب العالمية الأولى

١٩١٤ - ١٩١٨

قال من قصيدة له يصف ما عانتها مصر أثناء الحرب العالمية الأولى، وينعي على
الإنجليز بغيهم وعدوانهم وإعلانهم الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤، ويندد بفظائع السلطة
العسكرية البريطانية في سني الحرب:

يشب لغير الخائن المتملق
وأخر بالأصفاد والسوط مرهق^(١)
نجيع دم من جلده المتمزق
طريد الكرى فيجوف أغبر مطبق
سواد الدجى بالمدمع المترقرق
يكلمها بالعين من غير منطق
فلا راحما تلقى ولا عطف مشفق
وما كان فيها من جلال ورونق
وبانوا على حكم الزمان المفرق
"قفوا ودعونا قبل وشك التفرق"
يقلب في الغادين أجفان محنق
نجوا بالنوى من ظلم أرعن أحرق
وما قادهم إلا إلى شر مأزق

وعادت رياض النيل ناراً جحيماً
فكم سيد بين الغيابات حنقه
تري أدمع النعمي بناعم جسمه
يقضي الليالي بين ظلم وظلمة
وتمسي نجي الحزن جارة بيته
وفي حجرها لو أبصروا ذو تمائم
إذا فزعت في الخد من هول ما ترى
ودارة عز أوحشت من أنيسها
تحمل أهلوها على غير موعد
ينادي لسان الحال من شرفاتها
ولم ينسها التوديع موقف شامت
وما ملهم فيها ثواء وإنما
يناديه فينا قائد الجيش^(١) قومه

(١) بيريد قائد جيش الاحتلال.

وما ظالم في حكمه بموفق
زهاها الصبا في عنفوان وريق^(٢)
يد القمر للأجال من كل منعق^(٣)
تخير أبناء الشباب وتنتقي^(٤)
لغير عصى أو حبال مريق^(٥)
يهدد بالتكيل كل معوق
إلى حيث شاءوا جهد عيش مرمق^(٦)

نعسف بالأحكام غير موفق
فكم ساق من مصر إلى الموت فتية
جوع كأجال النعام تلفها
له عصب في غورها وصعيدها
ففي كل إقليم حجول مقيّد
وفي كل وادٍ منهم سوط معجل
ومن لم يسقه السوط والسيف ساقه

يوم إعلان الحماية

وقال عن إعلان الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤:

ضحى يوم نحس بالخطوب مؤوق^(٢)
فيا لك من يوم على مصر أورك^(٣)
قضى في بطون الغيب لم يتخلق
وبتنا على ليل السليم المؤرق^(٤)
لعيدين يوم الجمع يوم التفرق
فننشده والخطب بالخطب يلتقي
غيابة هذا العارض المتألق

بلاء على القطرين أغطش ليله
دجت يوم إعلان (الحماية) شمسه
به لقت سود الليالي فليته
قضينا به يوم المدله بالأسى
عشية يدعو "مكسويل"^(٧) سراتها
يوي عرش النيل من شاء جانفا^(٨)
"رويدك حتى تنظري عم تنجلي

(١) يريد بالغيابات السجون والمنفى

(٢) الريق: أول الشباب.

(٣) آجال أي القطيع والمنعق من نعق الراعي غنمة إذا زجرها.

(٤) يريد بالغور الوجه البحري ونخير أي نتخير.

(٥) الحجول القيود، وريق أي شد.

(٦) المرمق من شبع جوعا ويمسك رمقا.

(٧) الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية حين إعلان الحماية.

(٨) جانفا أي ظالماً.

كمى متى يرعد له الهول يبرق
لبوس المنايا بين هام ومفرق
متى يدن منها طائف الموت يصعق

فمن دون عرش النيل كل مدرب
بصير بأسباب الردي غرب سيفه
ثوت نفسه من بأسه في مجنة (١)

نقض العهود والمواثيق

وقال يهاجم الإنجليز وينعي عليهم نقضهم للعهود والمواثيق:

بعهد لنا بين الأنام وموثق
حمية حام أو تقيّة متقى
ولا بلداً بناؤها لم يحرق
سوى صلف المستكبر المتعزق (٥)
ولا طيب مخضر من العيش غيدق (٦)
وهول زمان بالحوادث متأق (٧)
تقيء إلى عام من البؤس أبلق
سافة غار في المكاييد مغرق
متى ما نذكره القوانين يحنق
لغير الهوى في حكمه لم يوفق
وتدبير أعمى في الحكومة أحرق
لأعلم منه بالنكايّة أحرق

فسائل بنا أعلاج "لندن" هل وفوا
لدى فتنة لم يغن عن مصر عندها
جرت عمما لم تبق أرضاً أمينة
ثلاثين عاماً لا ترى مصر منهم
ثلاثين عاماً لم تشم برق راحة
ثلاثين عاماً بين يأس وحسرة
إذا ودعت (عاماً) من الجور أبقعا
ثلاثين عاماً بالهوان تسومها
يرى نفسه فوق القوانين بيننا
يبيح غداً ما حرم اليوم بالهوى
إلاهة جبار وإمرة خاطل
إذا ما شكوناهم عميداً فأمرنا

(٢) أعطش ليله أظلمه ومؤوق اسم مفعول فعله أوق. يقال أوقه أي حملة المشقة.

(٣) الأورق الذي لونه على الرماد. يريد أنه مغير بالخطوب.

(٤) المدله: الذاهل.

(١) المجنة: الترس.

(٥) المتعزق: العسر الخلق.

(٦) الغيدق: الرخص الناعم.

(٧) متأق أي مملوء.

يقرب خوانا ويرفع جاهلا
إذا ما مضى هذا أتى ذاك بعده

ويسعد أشقاها ويشقي به التقى
على النهج لم يعدل ولم يتفرق

إفساد التعليم

وقال يذكر إفساد التعليم والدور المشئوم الذي قام به دنلوب في هذا الصدد:

ذواقاً من العرفان للمتذوق
يد الله تنكيلا بشعب مدوق^(٢)
تطاير عنها كل قدم حبلق^(٣)
فيا عجباً للساب المتمرق
لأرخصه في السوم كل مدوق
يسدد فيها كل سهم مفوق
بكفيه في لحد من الجهل ضيق
على العلم دمع الواله المتشوق
من الال في بيدها متريق
تالاً بالأنوار للمتأنق
متى ما تسامق هامها النجم تسمق
على فدن بالأرجوان مزوق
أم العير^(٤) إن يبعد به الشوط ينفق

وبالعلم سل "دنلوبهم"^(١) لم لم يدع
هو الجهل فينا حشدته لحكمة
رمتا به حمى أصابت بلاده
فحل بنا فيمن تمرق منهم
ولو وزنوا في غير مصر مقامه
فأصلح داء في المعارف قائل
فواها على تلك العقول التي ثوت
ثلاثين عاماً يسكب النيل حسرة
وما وردوا من عذبه غير لامع
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة
أ "دنلوب" ما تلك المباني ربيعة
وما العلم أن يعلو رتاج وقبة
أ "دنلوب" هل أرضيت قومك غاية

(١) المستر دنلوب وكان سكرتيراً عاماً ثم مستشاراً لوزارة المعارف والمسئول الأول عن انحطاط التعليم في عهد الاحتلال.

(٢) المدوق: المهزول.

(٣) القدم: الأحمق، والحبلق: الصغير القصير.

(٤) العير: الحمار، وينفق: يهلك ويموت.

ثورة سنة ١٩١٩

وله قصائد غراء في ثورة سنة ١٩١٩ أرخ فيها جهاد المصريين والمصريات وفضائع الإنجليز في قمع الثورة.

حضارة مصر ومجدها

قال من قصيدة له أنشدها سنة ١٩١٩ في الاحتفال بعيد النيروز يشيد بحضارة مصر ومجدها وفضلها على العالم:

فلا يا ابنة البيت الذي عند بابه
رويدك إنا في العلا يوم ننتمي
لنا ذروة المجد الذي تحت ظله
لنا آية الأهرام يتلو قديمها
ملأنا بها لوح الوجود متاقبا
وللعلم من آثارنا في جبالنا
وللملك منا كل أروع نظمت
ومنا الذي ساق الأساطيل شرعا
إذا جهلوا "مينا" و"خوفو" و"كفرعا"
وإن أنكروا ملك "أبن يعقوب" بيننا
لنا كل ما في الأرض من مدنية

تخر ملوك العالمين إذا مروا
كلانا أبوه النيل أو أمة مصر
تناسلت الأحقاب واعتمل الدهر
حديث الليالي فهي في فمها ذكر
إذا ما خلا عصر تلاه بها عصر
على الدقر آيات بها ينطق الصخر
على تاجه الأفلاك والأنجم الزهر
على البحر يستحي لصولتها البحر
فليس "برمسيس" على ملكه نكر
"فموسى" على ما أنكروا شاهد بر
بها تعمّر الأمصار والبلد القفر

جزى الله مصراً ما جزى أهل نعمة
فكم كشفت من ظلمة "عين شمسها"
لنا في الورى حق المعلم لو رعوا
فهل ينكر اليونان أنا هداتهم
وهل نسى الرومان للنيل أنعما

على الناس يعيا دونها العد والحصر
فما ثم سهل لا يضيء ولا وعر
لنا نمة والدهر شيمته الغدر
إلى حكمة في العالمين بها بزوا
بما ورثوا منها سما لهم الفخر

من الفضل ما يغني به الحمد والشكر
مكارم في طي الزمان لها نشر

فنحن الأولى قد أورثوا كل أمة
إذا اعتز قوم بالجديد سمت بنا

الوحدة بين العنصرين

وقال يشيد بالوحدة بين عنصري الأمة:

منازل عز دونها يقع النسر
يؤيدها الأنجيل بالحق والذكر
تؤيده الآيات والحجج الغر
وإن جر قوم بالسعاية ما جروا
ولكن خذلان البلاد هو الكفر
لنجدته سيان مرقس أو عمرو
وفي صلوات المسلمين لها ذكر
بنا قدم أو مس وحدتنا الضر
حليفي ولاء لاجفاء ولا هجر
يهلل بالبشرى ويزهر به البشر
عليهم به الأفراح وانتعش القطر
تجلى منار الحق وانبلج الفجر
بمصر على الأفراح وليقل الشعر:
وسارت بنا الآمال يقدمها النصر

بنينا على آداب عيسى وأحمد
فنحن على الإنجيل والذكر أمة
لنا كل ما في مصر والحق قائم
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا
كلنا على دين به هو مؤمن
إذا ما دعت مصر أبنها نهض ابنها
تري ذكر مصر في الهياكل قرية
فلا يحسبن للناس أنا تزلزلت
ألم ترنا في كل عيد وموسم
إذا كان عيد الفطر فالكل مفطر
وإن جاء بالنيروز يوم تراحمت
يا عيد أهل النيل عد أهلك المنى
وصافح بشعبيك السعادة مقبلاً
تلاقت أمانينا على خير غاية

ثورة الأمة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة أخرى أنشدها في حفلة لعقائل السيدات في مسرح برنتانيا سنة ١٩١٩:

مصر أمي، فداء أمي حياتي
يا رياح الحياة في مصر هبى
يا سماء الحياة في مصر جودى
ما لأم الأمصار حملها الدهـ
ما رعي ذمة لها يوم كانت
إن تناست قديم مصر ليال
فاسألوهن عن حديث حديث
دهش الناس يوم قيل صحت مصـ
إذ لقينا الخطوب وهي شداد
وركبنا متن الزمان ذلولا
بين ش^٣يب بالحزم تحدو شبابا

سلمت أمنا من العاديات (١)
روحينا بطيب ريا الحياة
أنفسا فوق نيلها صاديات (٢)
ر صنوف الآلام والموجعات؟
زينة في عصوره الخاليات
أنكرت صالحاتها الباقيات
لبنيتها عدوه في المعجزات
ر وكانت في غفلة وسبات
فتولت جموعها مدبرات
فمضينا لغاية الغايات
صادقي العزم ثاقبي النظرات

دور المرأة في الثورة

وقال يشيد بدور المرأة في الثورة:

وغوان سـمعن داعي مصر
أفـزعتهن حادثات الليالي
فتـرامين من وراء خـدور
سافرات ولسن أهل سفور
وكتبن الوفاء للنيل عهدا

بين تلك القصور والغرفات
في بنـيهن بالردى راميات
كن فيها البـدور مختدرات (٣)
حاسرات من شدة الحسرات
في قلوب بحبه داميات

(١) العاديات: الأحداث والنواب.

(٢) صاديات: عطشى.

(٣) مختدرات: مستترات في خدورهن.

وتواصين لا يضيغن ديننا
إياه. لله سعيكن جميلا
ظلموا النيل يوم عدوا بنات النـ
زعموهن بالحجاب عن العـ
بنت مصر كالشمس يحجبها الليلـ
وهي في أفقها ضياء ونور
أو هي المسك ينفذ العرف عنه
عرفت كيف يكبر المرء طفلا
أبصرت منبت المحامد فيه
وغذته المجد الذي ورثته
يا ابنة النيل أنت للنيل نخر

أو يعطلن سنة المؤمنات
يا بنات الأنجاب والمنجبات
يل جهلا في زمرة الجاهلات
لم ونور العرفان محتجبات
ل وراء الأفق والظلمات
ساطع في بدورها النيرات
من وراء الأستار والحجرات
كيف يقفو أباه في المكرمات
فتولتته بالتقى والأنساء
عن كرام الآباء والأمهات
خالد في آثاره الخالدات

وثبة مصر

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٠ يصف وثبة مصر:

تكلم وادي النيل فليسمع الدهر
فحسب العوادي نهمة النيل زاجراً
صحت بعد ما أزري بها الصبر والآنى (١)
لعمرك ما صبر الآبى مهانة
فلا تحسبوا أنا ونينا عن العلا
ولا اءكرتنا شمس جيل ولا انطروى
وفي الناس من شابت قرون "وأعصر"
وهل مصر إلا آية أزليّة
تفلقّت الأجيال حول وجودنا

وألمي على الأيام فليكتب الشعر!
وحسب الليالي أن يقال صحت مصر (٢)
ويا ربما أزري بصاحبه الصبر ولكن
صمت الليث يعقبه الزأر
ولا زهدت فينا مناقبنا الغر
لنا علم بين الدهور ولا ذكر
وهم في بطون الغيب عرفانهم نكر
مقدسة والنيل في لوحها سطر
ونحن الجبال الشم والزهر النضر

(١) الأنى: الأناة.

(٢) النهمة: الصوت.

بحاضرنا تعلقو المحامد والفخر
مضاربه واشنق عن ليله الفجر
وذو الذل أولى ما يكون به القبر!

لئن كان ماضينا فخاراً فإنما
وقفنا لريب الدهر حتى تغللت
حرام علينا أن نعيش أدلة

فضائع الإنجليز في قمع الثورة

وقال حين اشتد عدوان الإنجليز في قمع الثورة سنة ١٩١٩ وفتكوا في طريقهم ببعض
القرى كالعزبية والبدرشين:

لو أن مفجوعاً يرد سؤالا
وعدا عليهم بالخطوب وصالا
للسلم في أرجاء مصر مجالا؟
سارت رسائلكم بها أرسالا؟
أنا بمصر نكابد الأهوالا؟
شعب يريد بأرضه استقلالا؟
عن مصر صوتاً بالشكاة تعالي؟
طار الزمان لوقعها إجمالا؟
يتفئون من السلام ظللالا
صفوا وشرب ريقه سلسالا
شرع^(١) المنايا مسرعين عجالا
تمدوا عليه وخادعوا الآمالا
في أرض مصر نكاية ونكالا
هتك الستور ومزق الأوصالا
نصب الخداع حبالا وحبالا

يا مصر ما بال الأسى لك حالا
ظلم الزمان بني في أحداثه
يا ناشري علم السلام، ألم تروا
ما العدل؟ ما حرية الأمم التي
ما عهد (ولسن)^(١) أين ولسن هل دري
أمن العدالة عنده أن يبتلي
سفراء (ولسن) هل لكم أن تبلغوا
صرخات أهل النيل من أحلافكم
أضحت شعوب الأرض في بحبوحه
وهم أحق العالمين بورد
لكنهم سيموا الردى فتواردوا
تعسوا بحكم الإنجليز وطالما أعـ
ما بال أبناء الحضارة أوغلو
وثبوا على القطرين وثبة قاهر
نزلوا بأرض النيل منزل غادر

(١) ويلسن: الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية. ويريد بعهد مبادئه المشهورة التي أعلنها عند دخول
أمريكا الحرب العالمية الأولى وأساسها احترام حرية الشعوب واستقلالها.

(١) شرع، جمع شرعة وهي المورد.

لبس المسوح مراثيا محتالا
ويعلموا من أهله الجهالا
ساموا بنييه الضميم والإذلالا
خلقت لهم ثمراتها أنفالا
شمس العدالة في الورى تتلالا
خلقت تعاف الغادر المغتالا

حلفوا لأهل الأرض حلفة فاجر
أن يبسطوا ظل الحضارة فوقه
حتى إذا ملكوا أزمة أمره
واسنتزفوا ثمرات مصر كأتما
فإذا بدا وجه الخداع وأشرفت
نغضوا^(١) رعوسهم لغيالة أمة

شجاعة المصريات في الثورة

وقال في هذه القصيدة يصف شجاعة النساء المصريات في مقاومة الإنجليز:

مستقبلات للردى استقبالا
من حولهن وتتحني إجلالا
بيض الطبا متوثبا مجتالا
يفدين من فتكاتك الإنجالا
يسألن حقا لا يردن قتالا
لبنى أبيك ولا دعون نزالا
كانوا الكرام وكنتم الأنذالا
صدع المقطم خزيبها فأمالا
والليل يرخي فوقها أسدالا
تحت الظلام وقيعة ونكالا
فبكى الحجاب عفافها المغتالا
صيحات كلب في الحظيرة جالا
أم تلك أحلام تمر خيالا؟
معنى ولست أعني لهن مقالا

تلك العقائل يرتمين مع الطبا
تغضي عيون بني البلاد مهابة
وأورى ابن لندن نحوهن مصوبا
يا بن اللكيعة^(٣) إنهن عقائل
يا بن اللكيعة إنهن عقائل
يا بن اللكيعة ما حملن صوارما
أبنائهن إذا الأصول تقارعت
يا بن اللكيعة تلك سبتك التي
وارحمتاه لقريفة مفجوعة
محزونة خبا القضاء لأهلها
من غادة غال البغاة عفافها
ومصونة في الخدر طار يلبها
ماذا أرى؟ جن أحاط بمضجعي
ما هذه الجليات؟ لا أدري لها

(١) تفضلوا رعوسهم: حركوها وهزوها.

(٣) اللكيعة: اللثيمة.

أنا لست نائمة؟ وهذي جنة (١)
ويلاه! ما لأبي على نائماً؟
أعلى ناد أباك، لا، أنا خائف
هذي جنود الإنجليز رأيتها
صاحوا بصحن البيت صيحة فاتك
فإذا متاع البيت ينهب بينهم
ولرب دار بالقنابل أصبحت
وأب تحيط به هنالك صبية
ظلماً تشول به القنابل فهو في
يارب، إن الإنجليز تعمّدوا
يارب، مصر بك استجار ضعيفها
فأذق عدوك سوء ما مكروا به

تدنو كأعجاز النخيل طوالا
والبيت من وقع الحوافر زالا
يا أم لا تتكلمي؟ لا لا لا
(بالبرشين) تقبّل الأطفال
عات يرى النفس الحرام حلالا
وقد استحلوا نهبه استحلالات
قبراً تضمن نسوة وعيالا
تبكي عليه وتكثير الإعوالا
جو السماء مع القشاعم شالا (٢)
إرهاق مصر سفاهة وضلالا
في عبرة تذيي الدموع سجالا
واجعل عواقبه عليه وبالا

يخاطب مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له أنشأها حين اعتقل سعد زغلول لأول مرة في أوائل سنة ١٩١٩، يذكر الثورة ويعاتب مؤتمر الصلح في إهماله مطالب مصر:

يا دماء الشباب تجري على الأر
ما لباريس لا ترى أهل مصر
كل شعب له بمؤتمر الصلح
ليت شعري فهل أتاه كتاب
أو درى أننا نراد اختلاسا
ض جسادا (٣) به ثرى مصر يطلي
بين أهل السلام للعدل أهلا؟
ح نصير من البعوث ومولى
أو تلقي من جانب النيل رسلا؟
في بياض النهار والشمس تجلي

(١) جنة: جن.

(٢) تشول: تعلق، والقشاعم: النسور.

(٣) الجساد (بالكسر): الزعفران.

حولكم من زمازم (١) الرعد أعلى
حجة كالصباح أو هي أجلي
ع جوابا يرد في الغمد نصلا
هي دين عليكم ليس يبلي
أهرقتها بنادق القوم سيلا
أنفسا وردها الردى كان سهلا

سفرء الملوك، ضجة مصر
كم رفعنا إليكم في شكاة
وسألناكم البلاغ فلم نسـ
إن للنيل ذممة وعهـوداً
لو حقنتم تلك الدماء اللواتي
كان سهلا عليكم أن تصونوا

يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة

وقال في هذه القصيدة موجها حديثه إلى المارشال اللنبي الذي عهدت إليه بريطانيا قمع الثورة:

قاتل الله من علينا أدلاً
كان هذا بأرض (بلجيك) (٢) أولى
فإذا جد جدها عاد هزلاً
لم تكن للحروب والسيف قبلاً
وهي زين السيوف هزلاً وحملأ
تركتم حوادث الدهر عزلاً؟
ف بدار الأمان (٣) شيمأ وسلا
ر بلاد ولم يجر للحرب خيلاً
أشرف الموت فوقه أو أطلاً
ر لـديكم وبالدينية تبلي
من حياض المنون علا ونهلا
جبتم الوعر من فلسطين سهلا

أيها القائد المدل علينا
صاف بين أهل مصر وعجب
صاف جد في مواطن هزل
علم الناس أن مصر بلاد
منعتها الأيام حمل المواضي (٢)
فلم الكبرياء بين أناس
أيها القائد الذي حير السيـ
علم الخيل كيف تختال في غيـ
إنما يحمى المخيلة (٣) يوم
ما لمصر تجزي جزاء سنما
وأراكم لو لا بنوها سقـيتم
سائلوا الشام هل بغير بنينا

(١) الزمازم: جمع زمزمة، وهي الصوت البعيد المدوي.

(٢) المواضي: السيف.

(٣) المخيلة: الكبر.

أو مددتم بغير أبناء مصر
إبل مصر وأنتها^(١) تعرف الفض
لو درى النيل ما سيلقى بنوه
كم ظفرتم منه بما عجز (التا
كل عام تجبي إليكم جبوب
وقناطر من نضار يوافي
نعم لو أردتموهن شكرًا
ما جهلتم لمصر فيها صنيعا
أنسيتم لمصر ما منحتمكم
أم نسيتم أبناءها يفتك المو

في بلاد العراق للفوز حبلًا
ل عليكم، لا تتكر العجم فضلا
حرم الأرض غيرة أن تغلا
ميز) عنه وناء بالعبء حملا
تفضح الجاريات وزناً وكيلًا^(٤)
كم بها القطن كل عام أهلا
ما وفيتم منها القليل الأقل
إن تقولوا قد ينكر الفضل جهلا
من هبات ما جاوزت بعد حولا
ت بهم في الوغي وباء وقتلا

وختمها بقوله:

معشر الإنجليز مصر لأهلي
معشر الإنجليز مصر استقلت
ها ومن ظن غير ذلك ضلا
وجدير بالنيل أن يستتلا

يخاطب مؤتمر الصلح أيضاً وينادي بالاستمرار في الكفاح

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٩ يخاطب مؤتمر الصلح بباريس، وينذر بالاستمرار في الكفاح إذا لم يجب مطالب مصر:

أباريس إن كانت لضيف كرامة
أباريس إن تدني العدالة وافداً
لديك فضيف النيل أبلغ من يثني
عليك فأهل النيل أكرم من تدني

(٢) يشير إلى هزيمة الحلفاء أمام الزحف الألماني في بلجيكا إبان الحرب العالمية الأولى.

(٣) الشيم: اغماد السيف.

(١) الأتن: الحمير؛ والعجم: البيهائم..

(٤) الجاريات: السفن؛ وتفضحها: تسكرها لثقلها وكثرتها.

أباريس كم للنيل عندك من يد
ومن شكرها أن تعرفوا حق أهله
حرام عليكم أن يراق له دم
فيا أمراء الغرب دعوة مسمع
سلوا حلفكم عما جرى في ديارنا
وما هذه الغارات يعلو صريخها
وما هذه الأجساد في كل بلدة
إذا طفح الخزان من دم أهله
نرى الحرب فيما بينكم جف عودها
على غير ما ذنب جنينا فما لنا
فيا عجباً شعب يساق بأرضه

تناقلها التاريخ قرناً إلى قرن
وألا تسوموا (وفده) صفقة الغبن
حرام وأنتم قادرون على الحقن
يصرح في رفع الشكاة ولا يكتفي
وما جرحوا مما يشين وما يظني
مؤججة، هذي تروع وذي تفني
مصرة فوق التراب بلا دفن
فثم دم في الثغر يربي على الخزن
فما بالها في مصر ناضرة الغصن؟
نسام الدنيا لم نحارب ولم نجن
أسيراً إلى دار المذلة والسجن

ملوك الوري، لن يترك النيل حقه
ملوك الوري، لن يترك النيل حقه
ظننا بهم خيراً من الدهر حقبه
صبرنا وأشهدنا الأنعام عليهم
ثلاثين عاماً بعده سبعة خلّت
عواصف بأس ينشدها النيل تحتها
سقونا بها مرا من العيش آجنا
فإن تتصفوا أبناء مصر فمنة
والا رددناها عليهم كريمة

ولو مزقونا بالمتففة اللدن (١)
ولو طحنوه بالمقذفة الدكن (٢)
فكانت قصارانا بهم خيبة الظن
إلى أن رمونا بالمهانة والجبن
طوال الليالي السود حالكة الدجن
نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن
ويا ليتهم لم يرهقوا الناس بالمن
لكم أبداً نثني عليها بما نثني
وللدهر شأن لا يقاس على شأن

(١) يريد بالمتففة اللدن الرماح المقومة.

(٢) يريد بالمقذفة الرصاص والقنابل. والدكن: ما تضرب إلى السواد.

رثاؤه لمحمد فريد

ولما جاء نعي الزعيم محمد فريد في منفاه (نوفمبر سنة ١٩١٩) - وكانت مصر في إبان الثورة- رثاه بقصيدة مؤثرة تفيض وطنية ووطنية وبلاغة قال:

سلوا جفن عيني ما له بات ينزف
ويا رب هم يملك النفس بالأتسى
وما أنا! ما دمعي! وفي مصر أنه
بكين غريباً طوح البين داره
وعهدي به إن سمته الدمع يأنف
ويعدو على العين الجمود فتذرف
بها الطير نوح والغمام كف (١)
فلا العود مأمول ولا الدار تعرف

وما أنكرت مصر أنبها فنبت به
ثوي غربة، بعد المعاد قرارها
وكننا حسبنا شقة البين تتطوي
وأطمعنا في الملتقى لمع بارق
فلم نر سلاً ينتهي النأي عندها
ولكنه دهر على الحر يجنف (٢)
فيا طول ما يستشرف المتشوف
فيأوى إلى مرباعه المتصيف (٣)
من السلم في ليل الحوادث يخطف
بناء ولا حتم الردى يتخلف

بعني من نادى مناديه للنوى
يدافع الأما تياسرن قلبه
ففي قلبه مما دهى النيل زفرة
وفي عينه من لوعة البين عبرة
وفي نفسه عتبي على البلد الذي
فودع لا يأنى ولا يتوقف
لها حرق تدمي القلوب فتتطف
يكاد لها من تحته البحر ينشف
يكفكفها كبراً فلا تتكفكف
قساً أهله جهلاً عليه وأجنفو

(١) وكف: مرسلات بمائها.

(٢) أجنف: جار وعدا.

(٣) المرباع: المكان يثبت في الربيع؛ والمتصيف: المصطاف.

برمت بنا يا مصر لا عن جناية
وكيف تناست مصر حسن بلاتنا
مواقفنا يا أم فيك شهودها
رويدك نفساً أنكرت فعل قومها
على رغم قومي ما لقيت وإنما

يعني عليها جرم أو يعنف
إذا الدهر ألقى والحوادث تعصف
تؤيدنا يوم العتاب وتتصف
بذي حدب يقسي عليه فيراف
هو الدهر في أحكامه يتعسف

سلام على قومي، وداعاً بني أبي
ويا موقف التوديع هل تسعد المنى
أخاف المنايا أن يكن روادياً
تحتني طير جرين بوارحاً
ويحزنتني ورد المنايا ولم تزل
حرام علينا أرضها ومسأؤها
ويا فلک باسم الله مجراک أقلعي
فما كان إلا ن طوي البحر والثرى
فدون تلاقينا ليال وأشهر

وللنيل ما ألقى وما أنكلف
فيجمعنا يوم بمصر وموقف
ومالي من أسبابها أتخوف
بأن المطايا بي إلى الموت تزحف
بلادي تحبو في الإسار وترسف
أليه (١) من لا يمترى حين يحلف
فإما الردي أو ينصف النيل منصف
وحجه ستر من الغيب مستجف (٢)
وبين ديارينا جبال وصفصف (٣)

هنالك ألقى في بني الغرب رحله
بعيد المرامي لا تهد صفاته
تقذفه في زاخر اليأس همة

على همة من همها الدهر يكلف
عواد إذا صبت على "الألب" (١) تحرف
جدير بها الليث الهصور المقذف

(١) الألية: القسم.

(٢) أسجف الستر: أرسله.

(٣) الصفصف: الفلاة.

(١) جبال الألب المشهورة.

وهيهات أن يخشى أخو الحق قوة
ثوي في بلاد الغرب بالنيل عاتبا
يصرف أحداث الليالي غواشها
فطورا تراهفي "جنيف" لباسه
إذا صفت من ذات دنياه كفه
ويأوي إلى بيت وطى عماده
ويكفنه من فتية النيل أنجم
إذا احتدمت للباس نار فعلهم (١)
وإن ذكر المجد القديم فإنما
إذا ما انتمى قوم لدنيا جدودهم
وإن ذكروا أنباء فرعون رجعت

سوى الحق أو يعنو لباس فيضعف
وفي الغرب للعاني مراد ومألف
وأنيابها من شدة البأس تصرف
على القر أسمال به يتلقف
تجلد لا يشكو ولا يتأفف
وفي مصر يبكيه البناء المطنف
بهم نعتلي هام الفخار ونشرف
على البأس ماض ذو غرارين مرهف
بذكرهم تلهو القيان وتعزف
نمتهم لعلياها معد وخذف (٢)
مناقبهم ورق من الفخر هتف

فيا مسمع الأحرار من كل أمة
لقد فجع "الفسطاط" فيك وأهله
لقد فجعوننا فيك يوم تتابعت
فيا ويح يوم قال فيه غريبها
بروحي إذ جاء الأطباء خشعا
يعلله بالقول منهم مبشر
تجوفه الداء العضال وهل نجا
قضى الله أن يسقى "فريد" بأرضنا
يعز على "برلين" أن يغلب الردي
أطباءه: لو يستطيع فداءه
فليل عليه لو يفديه قومه

منى قومه والحر للحر ينصف
من الغرب ناع قام باسمك يهتف
رسائلهم بالموجعات وأرجفوا
على فراش البلوي ببرلين مدنف
وقاموا بأكناف السرير وطوفوا
وتبكي له منهم قلوب وترجف
من الموت مضني داؤه يتجوف
كؤوسا بالاستسقاء للنفس تخطف
عليك بنيتها، والردي ليس يصرف
بنو مصر غالوا في الفداء وأسرفوا
بما جمعوا من تالد أو تطرفوا

(١) العلم: الضخم العظيم.

(٢) معد وخذف حيان من العرب؛ يريد أن أصولهم عريقة في النسب والشرف.

براها الأسي من بعده والتلهف
إذا خان قوم عهد مصر فلم يفوا
ومال بهم عنها متاع وزخرف
لراحت بها ريح من الغدر زفرف (١)

قلبت الليالي سالمته فيه أمة
عرفنا له بر الوفي بعهددها
أفاض عليها نفسه بعد ماله
ولولا رجال مؤمنون نجوا بها

يندد بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى الوحدة

وحين حدث الانشقاق في الوفد سنة ١٩١٢ وقام الخلاف بين سعد وعدلي وانقسمت
الأمة تبعاً لذلك، نظم قصيدة يندد فيها بالفرقة والانقسام، ويدعو على توحيد الصفوف قال فيها:

صرنا بني العلاقات والأخفاف (٢)؟
وكننا زينة الخلطاء والألاف
قصده ومشرعنا نمي صافي
للحق في الإيضاح والإيجاف
عن منهج الآباء والأسلاف
في غرس أيدينا يد الإيتلاف
ثوبين ثوب موافق ومنافي
بالكييد والتفريق والإرجاف
لبني أبي، والأمر ليس بخافي؟
تطوي إلينا لجة الرجاف (٣)
مينا به في لهجة الأجلاف (٤)
فتزاورت جنفا عن الإنصاف
صوراً يزيد بها على الألاف

كننا أشقاء الإخاء فما لنا
بالأمس كان إخلأؤنا مثلاً
كننا إمام المشرقين، سبيلنا
يترسومون على الحياة طريقنا
فإذا بنا جارت هودى ركبنا
عبثت بوحدتنا الخطوب وأعلمت
والخصم يحجل بيننا للشر في
متممر يغري العداوة بيننا
أو ليس فيما قد مضى من عبرة
أو لم يروا أو يسمعوا نذر الردي
هذي تلوح بالوعيد وتلك تر
جعلوا صحافتهم مظاهر كيدهم
صحف يضيع الحق في ألوانها

(١) زفرف: شديد الهبوب في دوام.

(٢) العلات: جمع علة، وهي الضرة. والأخفاف: الذي أمهم واحدة وآباؤهم شتى.

(٣) الرجاف: البحر؛ سمي به لاضطرابه.

(٤) الأجلاف: جمع جلف: وهو الرجل الجافي.

حكم تؤيده بلا استئناف
من ذات خلف بيننا وتنافي
جام أصاب من الزمان الجافي
من ذلك الداء المبرح شافي
من كل مر بالخطوب زعاف
وتنبهوا فالدهر ليس بغافي
هذا أخو هذا بغير خلاف
فإنه للشعب المروع كافي

الحق فيها كل ما شاء الهوى
فليعتبر قومي كفى ما قد جرى
لا توجعوا تلك القلوب فحسبها
عشر كوامل في الخلاف فهل بها
شربت من الأيام كل مرنيق
أنبي أبي، ردوا القلوب إلى الهدى
الوفد منا والحكومة بعضنا
والشر غايته البوار ومن أبي
